ولم يجب بشيء، فقد شعر بثورة تعصف في رأسه، وباحتقار ومقت شديد لمن حوله . كان يريد الخروج مهما كلفه الامر . واستمر التحقيق معه نصف ساعة . ولم يخف على المحقق شيئاً ، فلم يكن لديه ما يستحق ان يخفى . وخرج مع ابيه بعد انتهاء الاستجواب ، وشيع الأب بالتجلة والاحترام .

وقال لأبيه : « أتراهم كانوا يطلقون سراحي بمثل هـذا اليسر ، لو لم تكن انت ابي ؟ » .

فأجاب الأب عابساً : « وما الذي يغنيك من أمر غيرك؟»

وتلقته امه واخته بين الاحضان ، وانطلقت بهم السيارة الفارهة نحو الدار الآمنة، وعطلها زحام في أحد الميادين العامة، فتطلع افراد العائلة منها ليستطلعوا مـأتاه ، وعلقت انظارهم بمشنقة شامخة تطاول السماء بكبرياء وحشية وقد تدلى منها رجل يتأرجح في الفضاء، فقالت كبرى الاختين : « لقد شنق هـذا الرجل لانـه اختلف مع السلطة الحاكمة في مدلول الحكم وأصوله ليس إلا ، بينما نرى الخونـة والسراق والمرتشين ، لا تنالهم عقوبة ، بل وان بعضهم ليتمتع بكثير من المجد والجاه . »

فرد عليها اخوها هازئاً : « يقول ابي ان علينا ألا نهـتم بشؤون غيرنا . »

فردت الام مؤنبة :« لِمَ تدسون انوفكم في امور لاتعنيكم ولا تفقهون خفاياها ؟ ان هذا مشاغب يريد قلب نظام الحكم . »

فتوثبت الاخت الصغرى وقالت متحمسة : « لقد تتبعت سير محاكمة هذا المسكين ، فلم اجد دليلاً واحداً يثبت مـا تقولين ، ولم يقم هذا بثورة ولا أجج فتنة ، بل كل ما هنالك انه اعلن رأيه في إدارة فاسدة، ورغبته في تغييرها ، ومن منا لا يشاركه في رأيه ؟ فهل نحن ايضاً نستحق الشنق ؟ »

فعاد الاخ الى سخريته واجاب : « لو كنا من طبقته لشنقنا حتما ، ولكن شكراً للجاه . »

فقال الاب غاضباً : كفى هذراً فقد رأيت عاقبة الطيش!

فأجاب الابن بابتسامة مرة : « اجل يا ابي ، لقد رأيت عجباً . لقد علمت ان كل ما هو مسطر في الكتب من انظمة وقوانين ما هي الا حبر على ورق . لقد عذبت دون ذنب ، واطلقت لسبب غير وجيه ، واردت الشكوى فوجدت ان الجدران لا تجيب ، والظلام لا يبصر ، والابواب لا تفهم ، فاقتنعت ، بعد تفكير ،بان من يروم الحرية ،والفكاك من اطباق الرموس ، عليه ان يحطم القيود تحطيما ، والا فليرض بالموت . »

بغداد **ذو النون ايوب**

نسجت من لُعابها قفصا ... ثم راحت في الليل تنتظر
وأنا والهدوء نرقبها ... ودموع الخريف تنهمر...
هوّمت تستجمّ هاذيةً ... واعتراها في صمتها ضجر
وتدلّى خيطٌ به وهَنٌ ... فاذا العنكبوت تنتحر

* * *

إيه حادي النجوم غنّ لها ... لم يهدهد حنينها وتر
ولتشيّع باللحن بائسة ... نحو وادي الفناء تنحدر !
آثرت موتها وما جزعت ... وتلاشى من نفسها الحذر
ففقدا بيتها لها كفناً ... وعليه من بؤسها صور !
همُّها أن تعيش هانئة ... فاذا العيش كله كدر !
ما لها والحياة قاسية ... وجراد الفساد ينتشر ...
وبنو البؤس في مراقدهم ... كفروا بالحياة فاندثروا
في كهوف الرؤى تصارعهم ... نغمات الشكوى وتنتهرُ
وأفاعي الحرمان جائعة ... تتلوى فيطفر الشرر !...
هذه الارض كهف عزلتهم ... أتراهم عناكب بشر ؟..
يمرح الحقد في سرائرهم ... وعقود الآمال تنتثر
لا يبالي أولو الثراء بهم ... لا تلمهم يا ليل إن كفروا
يطفئون البلوى بنشوتهم ... لا رجاء يغري ولا سمر
من كروم النسيان خمرتهم ... في كؤوس الاوهام تُعتصر
دفنوا في الدجى رغائبهم ... عن عيون الوجود فاحتقروا!

مصطفى محمود
من اسرة الجبل الملهم /